183770 ـ مسلم يسأل ما الداعي للالتزام بالدين ، وما وجوه إعجاز القرآن ؟!

السؤال

أريد أن أكون مسلماً حقيقيّاً لذا أضع هذا السؤال : ما الداعي للالتزام بالإسلام ؟ بعبارة أخرى : هب أني كنت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتُه يدعو إلى هذا الدين ، فما الذي يدفعني إلى تصديق رسالته وما جاء به من كتاب وسنَّة ؟ كما أني لا أفهم التحدي القرآني (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين).

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

إن الإسلام العظيم مدرسة للعالَم الذين تاهوا في دروب الحياة ، وإن أعرف الناس بنعمة الإسلام حقّاً هم مَن عرف الجاهلية حقّاً علماً نظريّاً أو عملاً واقعيّاً .

وسأرجع معك إلى أكثر من ألف وأربعمائة سنة وأسمعك اعترافاً يلخص لك ما الداعي للالتزام بالإسلام وكيف كان الناس قبل الإسلام ، أما السائل : فهو ملك الحبشة النجاشي ، وأما المُجيب : فهو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهذه القصة في هجرتهم إلى الحبشة :

" ... وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ ليسأَلَهُمْ فَقَالَ مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ ؟ قَالَتْ : فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ ـ قَالَ : فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ ـ فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِثِ ... " رواه أحمد / 1740

وإذا عرفتَ من الداعي للالتزام عرفتَ ما الداعي له ؟ إن الداعي له هو الله جل جلاله ، قال تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آل عمران/ 19 ، وقال (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آل عمران/ 85 .

وإن الله أعظم وأجل من أن يدعونا إلى شيء لا نفع لنا فيه ولا صلاح حال ، بل دعانا إلى الهدى والنور ، فهو تعالى لم يخلق خلقه عبثاً بل خلقهم للقيام بمهمة جليلة تتعلق به سبحانه وتعالى وهي توحيده والقيام بطاعته ، قال تعالى (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) المؤمنون/ 115 ، وقال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات/ 56.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : " أي : إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي ، لا لاحتياجي إليهم " .

انتهى من " تفسير ابن كثير " (4 / 239) .

إن الناس لا يمكنهم العيش في أمن وأمان بلا دين ، فإن الناس كالسفينة السائرة في البحر وإن الدين هو القبطان الذي يقودها إلى ما ينفعها ، فلا بد للناس من دين يتدينون به ، وإلا أكل بعضهم بعضاً ، وإن خير الأديان وخاتمها وأفضلها هو الإسلام .

ونحن ندعوك إلى التأمل في حال المسلمين ، في عاداتهم وشؤونهم وأخلاقهم ، وتقارنها بغيرهم من الأديان الأخرى ، يتضح لك الجواب إن شاء الله .

أو اسأل هذا أو ذاك ممن عاشوا في كنف الحضارات ، وأرقاها ولم يجدوا بُغيتهم إلا بالإسلام ، ولذلك تجدهم أشد الناس تمسكا لأنهم ذاقوا حلاوة الإيمان بعد أن عاشوا مرارة الكفر .

وانظر جواب السؤال رقم (14055) .

ثانياً:

أما التحدي القرآني للفصحاء والبلغاء بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فهو تحد للمتقدمين والمتأخرين ، وقد عجز كبار العرب وبلغاؤهم أن يأتوا بآية من مثله ، وإن التحدي ما يزال قائماً منذ أنزل الله تعالى هذه الآيات ، وكم خرج من صلب العرب شعراء وأدباء ولم يستطيعوا الإتيان بسورة من مثله ولا عشر آيات ، نعم ، لقد حاول بعضهم كتابة شيء كالقرآن فصار سخرية للناس وأضحوكة .

وسنرجع معك مرة أخرى إلى أكثر من ألف وأربعمائة سنة لنسمعك اعترافات بعض فصحاء العرب وشعرائهم وأسيادهم في القرآن الكريم أسلوباً وبياناً ، ومنهم : أبو الوليد عتبة بن ربيعة ، والشاعر أنيْس الغفاري ، وقد ذكرنا شهادتهما في القرآن في جواب السؤال رقم (114028) .

وهذه بعض شهادات المنصفين للقرآن من المعاصرين :

1. يقول إبراهيم خليل – وكان من كبار القساوسة ثم هداه الله للإسلام ـ : " أعتقد يقيناً أني لو كنت إنساناً وجوديّاً لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية ، وجاءني نفر من الناس ، وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث في كل مناحيه : لآمنت برب العزة والجبروت خالق السماوات والأرض ولن أشرك به أحداً " انتهى .

2. وقال ريجيس بلاشير – مستشرق فرنسي ـ : " إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط ، إنه أيضاً يمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر تحفة أدبية رائعة تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبجلته من التحف ، إن الخليفة المقبل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ المعارض الفظ في البداية للدين الجديد ، قد غدا من أشد المتحمسين لنصرة الدين عقب سماعه لمقطع من

القرآن ، وسنورد الحديث فيما بعد عن مقدار الافتتان الشفهي بالنص القرآني بعد أن رتله المؤمنون " انتهى .

3. وقالت بوتر – أمريكية دخلت الإسلام بعد اقتناع عميق به ـ : " عندما أكملت قراءة القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها ، وإنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية ، نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية ، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هي الحقيقة وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة " انتهى .

4. قال موريس بوكاي – عالم فرنسي شهير أسلم بعد دراسة للأديان متعمقة ـ : " لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم ، وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة ، بحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، لكن معرفتي كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي ، استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث ، وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل ، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول أي : " سِفر التكوين " فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا ، وأما بالنسبة للأناجيل فإننا نجد نص إنجيل " متى " يناقض بشكل جلي إنجيل " لوقا " ، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدَم الإنسان على الأرض " انتهى .

5. وقال فيليب حتي– لبناني نصراني ـ : " إن أسلوب القرآن مختلف عن غيره ، ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر ، ولا يمكن أن يقلَّد ، وهذا في أساسه هو إعجاز القرآن ، فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى " انتهى .

وقد نقلنا هذا كله من كتاب " الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري " (ص 156 – 159) للشيخ عبد المحسن بن زبن المطيري وفقه الله .

أما وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فكثيرة ، وقد ذكرها القاضي عياض في كتابه " الشفا " ـ واختصر كلامه السيوطي في " الإتقان " فقال – رحمه الله ـ : " وقال القاضي عياض في " الشفا " : اعلم أن القرآن منطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه :

أولها : حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن .

الثاني : صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظيراً له .

قال :

وكل واحد من هذين النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها خلافاً لمن زعم أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب .

الوجه الثالث : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد .

الرابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده على وجهه ويأتي به على نصه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب .

قال :

فهذه الوجوه الأربعة من إعجازه بيِّنه لا نزاع فيها (ولا مرية) " .

انتهى من " الإتقان في علوم القرآن " (4 / 18 ، 19) وانظر " الشفا " للقاضي عياض (1 / 258 – 272) .

والله أعلم